الباب السادس عشر

في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم. وأما طرق الجحيم: فأكثر من أن تحصى، ولهذا يوحد الله سبحانه سبيل الجنة[1]، ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿**وأنَّ هذا صِرَاطِي مُستقيماً فاتَّبعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبلَ فتفرقَ بكم عن سبيلِهِ**﴾ [الأنعام : ١٥٣] . وقال : ﴿ **وعلى اللهِ قَصدُ السَّبيلِ ومنها جَائرٌ** ﴾ [النحل : ٩] . أي : ومن السبيل جائر عن القصد، وهي سبيل الغيِّ، وقال :﴿ **هذا صِراطٌ عليَّ مُستقيمٌ** ﴾ [الحجر : ٤١] .

وقال ابن مسعود: خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطّاً [وقال]: «**هذا سبيلُ الله**، ثم خطَّ خُطوطاً عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ثم قال: هذه سُبُلٌ وعلى كلِّ سَبيلٍ منها شيطانٌ يدعُو إليهِ، ثم قرأ: ﴿**وأنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقيماً فاتَّبعُوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرقَ بكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[2].

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ **قدْ جاءكُم منَ الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ يهدي به اللهُ من اتبعَ رضوانَهُ سُبلَ السَّلامِ** ﴾ [المائدة : ١٥ ـ ١٦] .

قيل : هي سبل[3] تجتمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجوادِّ[4] والطرق

---

(١) في هامش الأصل سبيله

(٢) أخرجه ابن حبان (١٧٤١) في تفسير سورة الأنعام في «الموارد»، وذكره في «مجمع الزوائد» ٢٢/٧ وعزاه إلى أحمد والبزار وقال: فيه عاصم ابن بهدلة وهو ثقة، وفيه ضعف.

(٣) في هامش الأصل : سبيل .

(٤) جمع جادة ، وهو الطريق الأعظم ، تتفرع منه الطرق .

في الطريق الأعظم ، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان ،وهي شعب[1]، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها .

وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره ، وطاعة أمره . فطريق الجنة : هي إجابة الداعي إليها ليس إلاَّ .

وروىٰ البخاري في « صحيحه » عن جابر قال : « جاءتْ ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال بعضُهم : إنهُ نائمٌ ، وقال بعضُهم : العينُ نائمةٌ والقلبُ يقظانُ ، فقالوا : إنَّ لصاحبكم هذا مَثلاً ، فاضربُوا له مَثلاً ، فقالوا : مَثلُه مثلُ رجلٍ بنىٰ داراً وجعل فيها مأدُبةً وبعثَ دَاعياً ، فمن أجاب الدَّاعي دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدبةِ ، ومن لم يجب الداعِيَ لم يدخلِ الدارَ ولم يأكلْ من المأدبةِ ، فقالوا : أولوها [له] يفقهُها ، فقال بعضُهم :إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فالدارُ : الجنةُ ، والداعي : محمدٌ ، فمنْ أطاعَ محمداً ﷺ فقد أطاعَ الله ، ومنْ عصَى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بينَ النَّاسِ »[2] .

ورواه الترمذي عنه ولفظه : خرج علينا رسولُ الله ﷺ يوماً فقال : « إني رأيتُ في المنام : كأن جبريلَ عندَ رأسي ، وميكائيلَ عندَ رجلي يقول أحدُهما لصاحبهِ : اضربْ له مثلاً. فقال : اسمع سمعت أذُنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلُكَ ومثلُ أمتك كمثلِ ملكٍ اتخذ داراً ، ثم بنىٰ فيها بيتاً ، ثمّ جعل مائِدةً ، ثم بعثَ رسولاً يدعُو الناسَ إلى طعامهِ ، فمنهم من أجابَ الرسولَ ومنهم من تركَهُ ، فالله هو الملكُ ، والدارُ الإسلامُ ، والبيتُ الجنةُ،وأنتَ يا محمدُ رسولٌ ، فمن أجابك دخل الإسلامَ، ومن دخل الإسلامَ دخل الجنةَ ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها »[3] .

وصحح الترمذي من حديث عبدالله بن مسعود قال : « صلى بنا رسول الله

---

(١) في هامش الأصل : شعبة .

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨١) مطولاً في الاعتصام : باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ . انظر «الفتح» ١٣/ ٢٥٥ .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٠) في الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده .

ﷺ العشاءَ ثم انصرف ، فأخذ بيدي حتى خرجَ بي إلى بطْحاءِ مكةَ ، فأجلسني ثم خطَّ عليَّ خطاً ، ثم قال : لا تبرحنَّ خطَّكَ، فإنهُ سَينتهي إليكَ رجال فلا تكلمْهُم فإنهم لا يُكلمونَكَ ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حيثُ أراد ، فبينا أنا جالسٌ في خطِّي ، إذ أتاني رِجالٌ كأنهمُ الزُّطُّ ، أشعارُهم وأجسامُهم، لا أرى عورةً ، ولا أرى قِشْراً وينتهون إليَّ لا يجاوزون الخطّ ، ثم يَصدُرونَ إلى رسولِ الله ﷺ حتَّى إذا كان من آخر الليل، لكنْ رسولُ الله ﷺ قدْ جاءني وأنا جالسٌ فقال : لقد أراني مُنذُ الليلةَ ،ثم دخل عليَّ في خطي فتوسَّدَ فَخذي فرقَدَ،وكان رسولُ الله ﷺ إذا رقدَ نفخَ ، فبينا أنا قاعدٌ، ورسولُ الله ﷺ مُتوسدٌ فخذي إذا برجالٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ ، الله أعلمُ ما بهمْ من الجمالِ ، فانتهُوا إليَّ ، فجلس طَائفةٌ منهمْ عندَ رأسِ رسولِ الله ﷺ وطائفة منهم عندَ رِجليهِ . ثم قالوا : ما رأينا عبداً قطُّ أوتي مثلَ ما أوتي هذا النبيُّ ، إن عينيهِ تَنامانِ وقلبُهُ يقظانُ اضربُوا لهُ مثلاً، مَثَلَ سيدٍ بنَى قصراً ، ثم جعلَ مأدُبةً فدعا الناسَ إلى طعامِهِ وشرابِهِ ، فمنْ أجابهُ أكلَ من طعامِهِ وشربَ من شرابِهِ ، ومن لم يُجبْهُ عاقبهُ أو قال عذبهُ، ثم ارتفعُوا واستيقظَ رسولُ الله ﷺ عند ذلك فقال : سمعتَ ما قال هؤلاءِ ؟ وهلْ تدري مَنْ همْ ؟ قلت : اللهُ رسولُه أعلمُ ، قال : هُم الملائكةُ ، فتدْرِي ما المثلُ الذي ضربُوهُ ؟ قلت : اللهُ أعلمُ . قال : الرحمنُ بنى الجنةَ، ودعا إليها عبادَهُ فمنْ أجابهُ دخل الجنةَ ، ومنْ لم يجبْهُ عذبَهُ »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦١) في الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

ومعنى لا تبرحنَّ خطك : الزمه ولا تفارقه .

طائفة : جماعة الزُّطُّ : قوم من الهند أو السند، وقيل : جيل من السودان ، الواحد زُطِّيّ . وفلان زُطّى : لئيم دنيء .